الرد على شبهات القرآنيين

حدثه غريب بتاريخ الثلاثاء ١٦ ذي الحجة ١٤٤٢

في هذا الزمان الكثير الفتن, يصبح الرجل مؤمناً, ويمسي كافراً, وذلك لهول ما يرى من الفتن التي حاكها أعوان الشيطان وزخرفوها وقدموها أنها هي الحق الذي لا جدال, ففتن بها كثير من الناس ممن ليس لهم قدم راسخة في العلم, ولا يستطيعون الرد على الشبهات وهم مع ذلك صادقين في طلب الحق, ولكن اجتالتهم شياطين الإنس عنه.

لهؤلاء أكتب هذه السطور لأناقش معهم شبهة الكفر بالسنة التي عصفت بكثير من الناس, سائلا المولى عز وجل السداد والتوفيق وذلك من خلال المحاور التالية

- هل السنة وحي مثل القرآن
- هل السنة هي كتب الآثار كالكتب الستة
- لماذا لم تدون السنة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
- طريق وصول السنة
- تعارض القرآن والسنة

اعلم هداك الله أن شبهة الكفر بالسنة التي أصيب بها البعض هي شبهة مركبة من شبهتين:

أولاهما أن الله لم يوحي على رسوله صلى الله عليه وسلم غير القرآن, ومن ثم فإننا مخاطبون بالقرآن فقط.

وثانيهما تشكك في السنة بحسب طرق وصولها إلينا, فتراهم يقولون كيف تكون السنة وحي من الله, ويعبث بها البشر فيجعلون منها الصحيح والحسن والضعيف؟

وإن شاء الله سوف أجيبك على هاتين الشبهتين بالتفصيل فيما يلي

هل السنة وحي مثل القرآن ؟

يعتبر الكثير من الكفار بالسنة أن وحي الله عز وجل الموجه إلينا هو القرآن فقط, ومن ثم فإن السنة ليست من الوحي جملة وتفصيلا.

هذا الاعتبار ليس عند هؤلاء دليل عليه, فلا توجد آية في القرآن حصرت الوحي المرسل إلينا في القرآن وحده, وكل الآيات التي يحتج بها هؤلاء ليست فيها حجة لهم مثل احتجاجهم بقول الله عز وجل:

‹قُل أَيُّ شَيءٍ أَكبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهيدٌ بَيني وَبَينَكُم وَأوحِيَ إِلَيَّ هذَا القُرآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُم لَتَشهَدونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخرى قُل لا أَشهَدُ قُل إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَإِنَّني بَريءٌ مِمّا تُشرِكونَ› [الأنعام: ١٩]

والآية ليس فيها لهم حجة, لأن الآية أخبرت عن كون الله أوحى القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا ليس محل النزاع, فنحن نؤمن بأن الله أوحى القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم, وإنما النزاع في حصر الوحي في القرآن, أن الله لم يوحي على رسوله غير القرآن.

ونظرا لكونه لا توجد آية حصرت الوحي المرسل إلينا في القرآن وحده, تجد شياطين هؤلاء لا يقولون عند النقاش معهم أن القرآن هو وحده الذي أوحاه الله عز وجل إلينا لمعرفتهم بأنه لا دليل لهم على ذلك.

وهنا نطالبهم بماهية الرسالة التي أرسلت إلينا فهي ليست القرآن فقط ولا يستطيعون الإجابة إلا بالاعتراف بالسنة.

بالرجوع إلى القرآن نجد أن الله عز وجل يأمرنا دوما بطاعته سبحانه وبطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في آيات كثيرة منها:

‹ قُل إِن كُنتُم تُحِبّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعوني يُحبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَاللَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ۝قُل أَطيعُوا اللَّهَ وَالرَّسولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الكافِرينَ › [آل عمران: ٣١-٣٢]

‹ قُل أَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّما عَلَيهِ ما حُمِّلَ وَعَلَيكُم ما حُمِّلتُم وَإِن تُطيعوهُ تَهتَدوا وَما عَلَى الرَّسولِ إِلَّا البَلاغُ المُبينُ › [النور: ٥٤]

فكيف جعل الله طاعتين متمايزتين, طاعة الله من جهة, وطاعة رسوله من جهة أخرى؟

بمعنى كيف نستطيع أن نطيع الله, ونطيع الرسول ؟

إن طاعة الله تعنى طاعة الأوامر التي أمرنا الله بها في كلامه المنزل إلينا أي طاعة أوامر الله الموجودة في القرآن

وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني طاعة الأوامر الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم.

عند هذه النقطة يرتبك شياطين القرآنيين فهم يحاولون جعل طاعة الرسول هي أيضا طاعة الأوامر الموجودة في القرآن، وهذا باطل لأنه يعني أن الله حين قال وأطيعوا الرسول، كرر نفس الأمر السابق بطاعته هو، ومن ثم تصبح " وأطيعوا الرسول" حشوا لا معنى لها، وهذا محال في القرآن، فليس فيه حرف حشو، حاشاه عن ذلك.

إذن طاعة الرسول المعنية في الآيات هي طاعة مختلفة عن طاعة الله التي أمر بها، وهي تعني طاعة الأوامر الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم

عندما تتضح هذه المسألة يطرح السؤال التالي نفسه.

من أين يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوامر غير التي في القرآن؟

هل رسول الله صلى الله عليه وسلم ند لله له أن يأمر من تلقاء نفسه؟

أم أن الله أوحى إليه هذه الأوامر وأمره بأن يأمرنا بها ؟

طبعا الاحتمال الأول وهو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بهذه الأوامر من تلقاء نفسه احتمال مرفوض، نظرا لكونه صلى الله عليه وسلم سيكون متقولا على الله، وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك، هذا أولا

ثانيا لو تقول على الله لكان تحقق فيه وعيد الله عز وجل في قوله:

﴿ وَلَو تَقَوَّلَ عَلَينا بَعضَ الأَقاويلِ۝لَأَخَذنا مِنهُ بِاليَمينِ۝ثُمَّ لَقَطَعنا مِنهُ الوَتينَ۝فَما مِنكُم مِن أَحَدٍ عَنهُ حاجِزينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]

إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتقول على ربه، وكل الأوامر التي أمر بها خارج القرآن هي وحي من الله عز وجل أوحاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره ببلاغه.

هذه الأوامر هي التي نسميها السنة وهي جزء من الذكر الذي توعد الله بحفظه في قوله:

﴿ إِنّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنّا لَهُ لَحافِظونَ ﴾ [الحجر: ٩]

هل السنة هي كتب الآثار

إذا كانت السنة وحي مثلها مثل القرآن فلماذا لم يتحدث القرآن عن كتب الآثار كصحيح البخاري، وصحيح مسلم؟

وهل كان الناس قبل صدور صحيح البخاري كفارا لا يعرفون الرسالة التي أمرهم الله باتباعها؟

هذه نماذج من الأسئلة السخيفة التي يحاول بها شياطين الإنس التشويش على الذين ليس لهم رصيد علمي، والذين يعتبرون السنة هي الكتب التي حوت السنة.

إن السنة هي أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أمرنا الله بطاعتها, وقد أصدرها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صحابته رضوان الله عليهم, والذين بدورهم نقلوها إلى التابعين خوفا من وعيد الله عز وجل في قوله:

﴿إِنَّ الَّذينَ يَكتُمونَ ما أَنزَلنا مِنَ البَيِّناتِ وَالهُدى مِن بَعدِ ما بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ فِي الكِتابِ أُولئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلعَنُهُمُ اللّاعِنونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]

ونقلها التابعين إلى أتباع التابعين، وهكذا حتى وصلت إلى البخاري ومسلم وغيرهم، فدونوها في كتب عرفت بكتب الحديث، لذلك خلق مناظرة بين القرآن وبين كتب الحديث هو تصرف ماكر يستغل جهل الناس بكتب الحديث، وكيف دونت، فهو يوحي إلى المتلقي أن الحديث لم يكن موجودا قبل البخاري ومسلم رحمهما الله.

لماذا لم تدون السنة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول بعض شياطين الإنس إذا كانت السنة وحي مثلها مثل القرآن فلماذا لم تدون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

والجواب على هذا السؤال هو أن السنة دونت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهناك شواهد عدة على ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم

اكتبوا لأبي شاه

فالمسألة ليست مسألة تدوين, ولذلك عندما نجيبهم يتحول السؤال طيب ولماذا لم تجمع في كتاب واحد مثل القرآن؟

وهذا السؤال غير وجيه, لأن القرآن لم يجمع في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب واحد, ولم تجمع السنة في كتاب واحد أيضا والسبب أنه لا حاجة لذلك ساعتها, نظرا لكثرة الحفاظ للقرآن والسنة.

ولما ظهرت الحاجة إلى جمع القرآن بعد موقعة اليمامة, جمع الصحابة رضوان الله عليهم القرآن, ولم تكن هناك حاجة لجمع السنة بعد, ولم تظهر هذه الحاجة إلى بعد ذلك بمدة عند توسع الدولة الإسلامية جدا

إذن الجواب على السؤال لماذا لم تجمع السنة في كتاب واحد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أنه لم تكن هناك حاجة لذلك ساعتها.

طريق وصول السنة

من أهم الشبهات التي يستغلها شياطين الإنس في صد الناس عن اتباع الوحي قولهم إذا كانت السنة وحي مثلها مثل القرآن فلماذا يتركها الله للناس يجعلون منها الصحيح والحسن والضعيف؟

إن هذا السؤال يقوم على مغالطة مفادها أن السنة بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف, وهذا غير صحيح فالسنة هي الأوامر الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم وهذه لا تقبل هذا التقسيم فرسول الله صلى الله عليه وسلم إما أن يأمر بالأمر, أو لا يأمر به, وانتهى الأمر, لذلك السنة ليس فيها الصحيح والحسن والضعيف كما يتصور هؤلاء.

إن الأخبار المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضها صحيح في نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضها غير صحيح النسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على تفاوت في درجات عدم الصحة

أي أن تقسيم الخبر إلى صحيح وحسن وضعيف ناتج عن دراسة طريقة وصوله إلينا, فقد يكون وصل عن طريق الثقات, ثقة عن ثقة, وهو ساعتها صحيح في نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, ونحن واثقين من ذلك, وعليه هو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد يكون وصل عن طريق ليس كل أفرادها ثقات, ومن ثم فإننا نشك في صحة نسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم, وعليه هو ليس من السنة.

وقد يكون وصل عن طريق فيها كذاب وساعتها نكون على يقين بكون الخبر مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقطعا ليس من السنة.

إن دراسة الإسناد فرضها الواقع, فنحن لم نعش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم نلاقي الصحابة ولا التابعين ولا أتباع التابعين, ولذلك الخبر إنما أتانا عن طريق الإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مطالبون بدراسة هذا الإسناد, والتأكد من كونه قادر على إيصال الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تغيير في ألفاظه, هذا مع العلم أن الله قد حفظ وحيه, وحتما سوف نجد جميع أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح سالم من الشذوذ والعلل.

إن تقسيم الخبر إلى صحيح وحسن وضعيف وتقسيم الضعيف إلى حوالي ستين درجة كل ذلك يشهد بالعمل الدقيق الذي قام به المحدثون بحيث أن أي شك محتمل في الرواية, ولو كان ضعيفا, ينقلها من الصحة إلى الضعف, فأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون يقينية لا يتطرق إلى ثبوتها أدنى شك, ولذلك هذا التقسيم ليس بمطعن في السنة, بل العكس هو دليل على الجهد المبذول في تدقيق كل خبر نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن الجهلة بعلم الحديث والجهود التي بذلت فيه يسيؤون إلى أنفسهم, ويكشفون مدى جهلهم حين يقولون كيف السنة محفوظة, وفيها الصحيح والحسن والضعيف, لأنهم لا يعرفون السنة, ولا يميزون بين الصحيح والحسن والضعيف.

تعارض القرآن والسنة

من الشبهات التي يستغلها شياطين الإنس في صد الناس عن اتباع الوحي قولهم أن بعض الأحاديث النبوية الصحيحة تعارض القرآن ولذلك يجب أن نرمي بها, فالقرآن هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إن هذا التعارض المزعوم بين الأحاديث الصحيحة والقرآن, إنما هو تعارض في عقول هؤلاء الجهلة العميان, وليس تعارضا حقيقيا كما يزعمون.

إنهم بقولهم السابق يريدون أن يجعلوا القرآن والسنة خاضعة لعقولهم, فحين تعجز عقولهم عن الجمع بين النصوص يكفرون ببعض, حتى يرضوا عقولهم العفنة, وهم بذلك يقعون في شر أعمالهم, حيث صاروا يعبدون عقولهم, وأي وحي لم تتقبله عقولهم يرفضونه والعياذ بالله من حالهم في الدنيا وفي الآخرة الذي أخبرنا ربنا عنه في قوله:

‹يَومَ تُقَلَّبُ وُجوهُهُم فِي النّارِ يَقولونَ يا لَيتَنا أَطَعنَا اللّهَ وَأَطَعنَا الرَّسولا› [الأحزاب: ٦٦]

فقد أعرضوا عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لم يوفقوا بين أمره والقرآن.

لقد سبق وناقشت بالتفصيل العلاقة بين النقل والعقل وبينت أنه إذا ثبت الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الواجب علينا السمع والطاعة وحسب فذلك ما كلفنا ربنا ولم يكلفنا غيره.